محمد محروس محمد الشناوي
- ندوة علم النفس، القاهرة، 1989م.
- أبحاث ندوة علم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ/1993م، ص 375 – 418 [44 صفحة من القطع المتوسط].
- لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.
- مجال البحث (الكتاب): أسلمة علم النفس، الصحة النفسية، الإرشاد النفسي من وجهة إسلامية.

❑ ❑ ❑

بعد استعراض الباحث لمفهوم الإرشاد النفسي (والذي يستخدمه كمرادف للعلاج النفسي في بحثه) يخلص إلى أن مضمون الإرشاد والعلاج النفسي هو:

مساعدة يقدمها شخص لديه القدرة والمعرفة والإستعداد الشخصي لتقديم المساعدة إلى شخص آخر في موقف مشكلة، سواءً أكانت هذه المشكلة ناتجة عن اضطراب في التفكير أو السلوك أو المشاعر.

وبعد استعراضه للنظريات الغربية في الإرشاد والعلاج النفسي يشير الباحث إلى أن من الواضح أن هذه النظريات لم تحقق ادعاءاتها أولاً، ثم يجزم ثانياً أنها -أي النظريات- عاجزة عن تحقيق الأمن النفسي لمن يعالجون في ظلها.

لذا أراد الباحث في ورقته إعداد تصور نظري مبسط لعمل المرشد المسلم في ضوء المنهج الإسلامي مع ضرورة أن يعمل الآخرون على إثراء هذا التصور والتعمق فيه.

* ثم يدخل الباحث تفصيلاً في أسباب إخفاق نظريات الإرشاد والعلاج النفسي الغربية في تحقيق أهدافها أو أهداف الإرشاد والعلاج النفسي. ويرى أن هذه النظريات تعددت حتى أصبحت من الكثرة بمكان وحتى أنها وصفت من بعضهم بأنها «غابة».

وينقل عن أحد الباحثين قوله أن نسبة شفاء المرضى الذين لم يعالجوا بأي نظرية مساوية لمن تنتهي مشكلاتهم باستخدام علاجات مستندة إلى هذه النظريات.

ثم يورد الباحث أسباباً مفصلة لحكمه أو تعميماته أعلاه، منها:

أن هذه النظريات بنيت على أساس التصور الفلسفي لصاحب النظرية حول طبيعة الإنسان (رأي شخصي أو خبرة شخصية).

أن هذه النظريات نظرت للإنسان من زوايا مختلفة (الغرائز، المشاعر، السلوك) مختزلة الإنسان إلى صورة أقل كثيراً من حقيقة خلقه وتكريمه.

أغفلت النظريات الجانب الروحي وأسقطته من حساباتها في الإرشاد والعلاج، إضافة لغفلتها عن غاية وجود الإنسان في الأرض.

حددت النظريات عناصر تكوين الشخصية دون جعل الدين عنصراً منها، وعددت أسباب إنحراف شخصيته دون الإلتفات إلى إنحراف عقيدته.

استخدام معايير وضعية ليحكم بها المرشدون والمعالجون عن انحراف السلوك أو عن تمييز السواء عن اللاسواء.

هناك جانب كبير في هذه النظريات أقامت بينتها على أشياء غامضة وتفسيرات ينقصها البحث العلمي والتفكير المنطقي وينكرها الذوق السليم.

ثم يحدد الباحث الأطر العامة أو المباحث الأساس التي تقوم عليها نظريات الإرشاد والعلاج النفسي وهي: طبيعة الإنسان، نمو الشخصية، الإضطراب النفسي، العلاج النفسي، أهداف الإرشاد ودور المرشد.

ثم يبدأ الباحث استعراض برنامجه أو مقترحه الإسلامي من خلال هذه المباحث أو الأطر ليسترشد بها المعالج المسلم خلال عمله الإرشادي والعلاجي:

1 ـ خصائص الإنسان في ضوء المنهج الإسلامي

يذكر الباحث خصائص الخير والشر في طبيعة الإنسان ووجهة نظر الإسلام فيها، والإنسان ككائن مكرم، وكمخلوق مسؤول، وككائن مكلف، وكتكوين من روح وجسد.

ويستعرض هذه الخصائص بتفصيل كبير وينقل آيات قرآنية ونصوص تراثية كثيرة ليبين وجهة النظر الإسلامية في هذه الخصائص.

2 ـ نمو الشخصية وتطورها في ضوء المنهج الإسلامي

وهنا ينظر الباحث إلى شخصية المسلم من خطين رئيسين يندمجان معاً ليوجّها سلوكه وتحقيق إنسانيته وهما: العقيدة والشريعة. ثم يذكر النفوس الثلاث للإنسان (الأمارة، اللوامة، المطمئنة) التي تقوم بنية الشخصية عليها، وأن الشخصية السواء هي الشخصية الممثلة في منهج النفس المطمئنة. كما أن سلوك الإنسان يقوم على أساس من دوافع تحرك هذا السلوك، فالإنسان له مطلب فطري، وكل ما تذكره النظريات الأخرى من دوافع إنما تكون دوافع تقع أو مضمّنه تحت الدافع الأساس وهو المطلب الفطري، وأن مطلب الحياة الأساس هو واجب العبادة، ولتحقيق اتباع هذه الحاجات لا بد من توافر ثلاثة شروط:

- أن تكون الحاجة محققة لعبادة الله وحده وعمارة الأرض.
- أن يكون اشباعها في حدود ما أمر الله به ونهى عنه.
- أن يلتزم القصد والإعتدال (التوسط) في إشباع هذه الحاجات.

فالإسلام لا يحرِّم على الإنسان دوافعه ولا ينكر عليه حاجاته ولكنه يلزمه بضوابط لها.

ويصنف الباحث الشخصية بأنماط ثلاثة: المؤمنون، الكافرون، والمنافقون. ثم يفصِّل في نظر المنهج الإسلامي لهذه الأنماط من ناحية، ويحدد سمات الشخصية لكل فئة أو نمط منها من ناحية ثانية.

كما يهتم الإسلام ببناء الشخصية الذي يقوم على تحقيق العقيدة الصحيحة والعمل لصالح (ثم يعطي الباحث خطوطاً عريضة أو أساس في بناء هذه الشخصية في ضوء المنهج الإسلامي) أولاً، وعلى الاقتصاد في كل الأمور ثانياً.

ولا تقتصر الوجهة الإسلامية على قصر دائرة التوجية والتعليم على الوالدين بل يعممها على المجتمع ككل، وأن شخصية المسلم تقوم على تفاعل الفرد بمجتمعه الذي يعيشه ويتأثر فيه.

3 ـ اضطرابات الشخصية في ضوء المنهج الإسلامي

يذكر الباحث المجموعات الثمان التي يقسّمها المشتغلون في مجال الأمراض النفسية والعقلية (الإضطرابات العصابية، الذهانية، إصابات المخ، الإجرام، الإدمان، الأمراض النفسية، الإنحرافات الجنسية، الضعف العقلي)، حيث يرجع الباحث أكثرها إلى اضطرابات في التفكير أو في السلوك أو في الإنفعال.

ويعيب الباحث على النظريات الغربية أنها افتراضية وإن كانت تجريبية، فقد نقلت عن تجارب أجريت على حيوانات، وإنها في إطارها العام أو في مجملها تحاول البحث عن أسباب تعفي أصحابها من مسؤولية حدوثها.

أما الموقف الإسلامي من الإنحرافات النفسية فيرجعها أساساً إلى: «إنحراف العقيدة، زيغ العقل، إتباع الشهوات، عدم ضبط الإنفعالات».

ثم يفصّل الباحث كثيراً في محاولته (إسلامياً وتراثياً) في الإجابة عن سؤالين:

- أولهما: كيف يحدث الإنحراف؟
- ثانيهما: ما هي أنواع الإنحرافات؟

فمن حيث كيف يحدث الإنحراف فإن الباحث يراه نتيجة طبيعية للبعد عن الصراط المستقيم، ولإضطراب في العقيدة والعبادة وفي التفكير والمشاعر والدوافع والتصرفات.

وأما أنواعها فيصنّفها كإنحرافات عبادات أو انحرافات معاملات: فإهمال الصلاة والسهو عنها والتكامل في أدائها وكذلك في الزكاة والحج والجهاد... إلخ، هذه انحرافات عبادات.

أما شرب الخمور وتناول المخدرات والتدخين والزنا واللواط والقتل وإشاعة الفاحشة والربا وأكل أموال الناس وعقوبة الوالدين وإيذاء الجار... إلخ، فهذه انحرافات معاملات.

(ويدلل الباحث قرآنياً وإسلامياً على هذه الأنواع من الإنحرافات)

4 ـ العلاج النفسي في ضوء المنهج الإسلامي

يرى الباحث أن الإسلام منهج آلهي (من خالق الإنسان للإنسان) وهو العلاج الأول والأخير لكل ما يعاني منه الأفراد وما تعاني منه المجتمعات من مشكلات نفسية. ويعتقد الباحث أن كل طريقة يتوصل لها علم النفس سواءً قامت على أساس تجريبي أو على أساس مشاهدات أو تصورات لعلاج الإنسان أو إرشاده لن تكون مجدية في المدى البعيد طالما أنها لم تقم على منهج يتناول حياة الإنسان كلها.

* ثم يستعرض الباحث بعض الأسس التي استقاها من المنهج الإسلامي في العلاج النفسي:

- الأسس التي يقوم عليها الإرشاد والعلاج النفسي في الإسلام:

قابلية السلوك للتعديل، الجوانب الفعلية جزء هام في تعديل السلوك، تصرفات الإنسان تقوم على أساس من الوعي والشعور بها، المسؤولية فردية وجماعية، إقرار الإسلام للفروق الفردية، الإرشاد والعلاج يكون بدافع من الشخص ذاته، الإرشاد والعلاج علم ثم عمل، مبدأ اختيارية القرار وحرية التصرف، اختلاف طرق الإرشاد والعلاج باختلاف الموقف وحالة الفرد، التدرج من الأساليب البسيطة والمرغوبة إلى الأساليب الصعبة، تخلق القائم على الإرشاد والعلاج بخلق الإسلام، إهتمام الإسلام بالعديد من الجوانب في العلاج، المنهج الإسلامي ينير للمرشد طريقه: إنمائياً أو وقائياً أو علاجياً.

ويفصّل الباحث في هذه المبادئ أو الأسس الثلاثة عشر، وبعدها يبدأ بتقديم بعض النماذج والمواقف العلاجية والإرشادية في الإسلام، فيقدم نماذج في:

- العلاج الأسري الإسلامي (علاج مشكلات الطلاق والنشوز... إلخ)
- مخاطبة العقل والمشاعر (نماذج كثيرة من آيات قرآنية وقصة الشاب الذي أتى النبي ﷺ ليأذن له بالزنا وكيف عالجه عليه الصلاة والسلام)
- النوم واستخدامه في العلاج في مواجهة الأزمات النفسية وتغيير حالة

الإنفعال (آيات قرآنية، وقصة نوم المؤمنين في معركة بدر/ سورة الأنفال، قصص قرآنية كثيرة وقصص عن سلوكيات النبي ﷺ في هذا المجال)

- استخدام النماذج السلوكية كوسيلة لتعليم الناس وتغيير سلوكهم (يشفعها كذلك بالآيات والقصص القرآنية النبوية)
- العبادات كعلاج نفسي عندما يواجه الإنسان الأزمات ويشعر عندها بضعف قدرته على التعامل معها.
- قوة الإرادة التي يهتم الإسلام بتقويتها عند المسلم وكيف يجب أن تعمل في إطار من تقدير الله سبحانه وتعالى، وأن عليه - المسلم - العزم والتوكل على الله. (ويضرب أمثلة علاجية نفسية معاصرة لتقوية الإرادة كذلك).

* ثم يستعرض الباحث في آخر ورقته دور المرشد أو المعالج المسلم كدور تشخيصي أولاً، وإنمائي ثانياً، ووقائي ثالثاً، وعلاجي رابعاً. فالمرشد المسلم كما يراه الباحث مربياً وداعية آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر معلماً وطبيباً للأفكار والمشاعر والتصرفات.

وبعد دور المرشد يدخل في صفات المرشد المسلم في ضوء المنهج الإسلامي ليعطيه صفات: العلم، المهارات، الصفات الشخصية (التدين، التطابق، الإعتراف بكرامة المسترشد، الرفق، مراعاة مصلحة المسترشد).

ومنها يعرج الباحث إلى أخلاقيات الإرشاد ويعطي توجيهاته في القواعد الأخلاقية التي يجب أن يتسم بها المرشد والمعالج النفسي المسلم.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

الإرشاد النفسي، العلاج النفسي، نظريات الإرشاد النفسي، أسلمة الإرشاد النفسي، الصحة النفسية من وجهة نظر إسلامية، دور وخصائص المرشد والمعالج النفسي المسلم.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- يمكن القول أن البرنامج الذي تقدم به الباحث فيه من الشمول والعمق الشيء الكثير، كما أن فيه أيضاً الكثير من الجوانب والممارسات التطبيقية.
- عندما يقرأ الإنسان هذه المقالة يشعر بتمكن الباحث من وجهة النظر الإسلامية شأنه في النظريات النفسية المعاصرة في الإرشاد والعلاج النفسي، مما يدل على خلفية دينية إسلامية وبصيرة نفسية جيدة في هذا الباب.
- لم يكن الباحث مجاملاً ولا متهاوناً في مسألة عرضه للنظريات الغربية النفسية في العلاج والإرشاد النفسي بل كان موقفه حازماً واضحاً لا لبس فيه، وهنا يخالف الكثير ممن يكتب في هذا المجال ممن يحاولون غمز النظريات النفسية الغربية بصورة غير مباشرة أو على إستحياء، أو ممن يصمتون عنها كلية ليطرحوا البديل الإسلامي لها، مما يثير التساؤل المشروع: لماذا البديل أساساً؟

❑ ❑ ❑